﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾ [البقرة: 39]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لـمَّا بشَّر الله تعالى المؤمنين الّذين يتَّبعون هُدَاهُ، أعقبَهُ بإنذار الكُفَّار الّذين حادُوا عن اتِّباع الهُدى بالكُفر والتَّكذيب، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ على عادة القرآن الكريم في قَرْنِ الأشياءِ الـمُتقابلة[1].

❁ شَرْحُ الـمُفْرَدَاتِ:

1) ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾: الآيات جمعُ آيةٍ، وجذرُها الهمزةُ والياء والحرفُ المعتلُّ[2] يدُلُّ على بقاءِ الشَّيء في مكانه شاخصًا علامَةً لشيءٍ[3].

ومنه قولُهم: خرجَ القوم بآياتِهم، أي: جماعتِهم؛ فلم يَدَعُوا شيئًا ممَّا مِنْ شأنِهِ أن يكونَ شاخصًا إلَّا حملوهُ، وفيه معنى الكثرةِ والجسَامَةِ أيضًا.

والآية: كلُّ شيءٍ ظاهرٍ ملازمٍ لشيءٍ باطنٍ يُعرَفُ به حسّيًّا كان أو عقليًّا[4].

وآياتُ اللهِ تعالى المذكورةُ في قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ هي حُجَجه وأَدِلَّتُه على ربوبيَّته وألوهيَّته، وما جاءت به رسلُهُ مِنْ شواهدَ على صدقِ ذلك[5]، فهي علامَةٌ ودليلٌ على الرَّبِّ واستحقاقِهِ العبادَةَ، وتشخُّصُهَا في الآيات الكونيَّةِ واضح لكلِّ ذي بَصَر متأمِّل، وأمَّا في الآياتِ الشَّرعيَّةِ ففيها معنى الجسامَةِ المعنويَّةِ، فهي لِظُهورِها ووضوحِها كالشَّيءِ الـمُتَشَخِّصِ الّذي لا يَخفَى.

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 1/300.
(2) في اشتقاق (الآية) خلافٌ. يُنظر: السَّمين الحلبي، عمدة الحفَّاظ: (أيي)، والآلوسّي، روح المعاني: 1/242.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (أيى).
(4) الرّاغب، المفردات: (أيّ)، ومحمَّد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/238.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 1/552.

2) ﴿أَصۡحَٰبُ﴾: أصحابُ جمعُ صاحب، مثلُ أشهادٍ جمعِ شاهدٍ[1]، أو أنَّ أصحابًا جمعُ صَحْبٍ، والصَّحبَ: جمعُ صاحبٍ[2].

والصَّاحبُ: المُلازِم؛ إنسانًا كان أَو حيوانًا أَو مكانًا أَو زمانًا، ولا فرقَ بين أَن تكون مُصاحبَتُه بالبَدَن -وهو الأكثر- أَو بالعناية والهمَّة، ولا يُقال في العُرْفِ إلَّا لِمَن كَثُرَت مُلازمَتُه، ويُقالُ لمالكِ الشَّيء: هو صاحِبُه، وكذا لِمن يَملِكُ التَّصرّفَ فيه[3].

ومادَّة (صَحِبَ) تدُلُّ تصاريفُها على ملازمةِ الشَّيءِ بقوَّةٍ، وقد تُطلقُ على مُطْلَقُ المقارنةِ، ومجرد الاقتران[4]

ومِن هذا البابِ: سُمِّيت الزَّوجَةُ صاحبةً كما في قول الله تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾ [المعارج: 11-12]؛ لملازمَتِها زَوجَها مدّةَ الحياة الدّنيا.

وأمَّا (أصحاب النَّار) في القرآن الكريم؛ فالمرادُ أهلُها المعذَّبونَ فيها إلَّا في مَوضِعٍ واحد؛ فيُرادُ به: خَزَنَتُهَا، وهو الواردُ في قول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ﴾[5] [المدثر: 31].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

والّذين جَحَدُوا وكذَّبوا بحُجَجِ الله تعالى وأدلَّتِه على ربوبيَّتِهِ وألوهيَّتِهِ وما جاءت به الرُّسُلُ مِنَ الشَّواهدِ على ذلك؛ سيَكون مآلُهم نارَ جهنَّم يُلازمونَها لزومًا دائمًا، فلا يخرجون منها أبدًا[6].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

وَجهُ العَطفِ في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

يَحتَمِلُ أن يكونَ قولُ الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ﴾ مِنْ تمام ما قيلَ لآدمَ عليه السلام،

(1) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (صحب).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (صحب).
(3) الرّاغب، المفردات: (صحب)، والفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: (صحب).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (صحب).
(5) السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 2/158.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 1/552، وأبو المظفَّر السَّمعانيّ، تفسير القرآن: 1/70، والسّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 50، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 7.

استيعابُ أحوالِ بَـنـي آدَمَ في مَـوْقـفِـهـم من الهُدى

فيكون معطوفًا على (مَنْ) من قوله سبحانه: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾، ويكون في الجملة أسلوبُ التَّقسيم[1]؛ وذلك لاستيعاب أقسام ذرِّيَّة آدمَ[2] عليه السلام.

نُكتَةُ اختلافِ التَّقسيم والتَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ:

قُـبـحُ صَـنِـيـعِ الـعـادِلِ عَـنِ الـهُـدى واستحقاقُهُ النَّار بالكُفر

وَقَعَ التَّعبير بالاسم الموصول في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾، مع أَنَّ مُقتضى الظَّاهر: (ومن لم يتبَعْهُ) أي: الهُدَى؛ ليكون مقابلًا لقوله قبلُ: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾، والنُّكتَةُ في ذلك أَمران:

أحدهما: تفظيعُ حالِ العدولِ عَنِ الهُدى، وإظهارُ كمالِ قُبحِ الضَّلالة[3].

والآخر: الإيمَاءُ إلى وَجهِ استحقاقِهِمُ النَّارَ والخلودَ فيها؛ وهو الكُفر والتَّكذيبُ[4]، ومجيءُ صلةِ الموصولِ فعلًا ماضيًا في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ﴾ دالٌّ على تحقُّقِ وَصفِ الكُفرِ والتَّكذيب فِيهِم، وجمعُ الاسمِ الموصول فيه إيماءٌ إلى كثرة الكُفَّار والمكذِّبين[5].

نُكتَةُ إضافةِ (الآياتِ) إلى ضميرِ العَظَمَةِ العائِدِ إلى اللهِ سُبحانه:

كَـمـالُ قُـبـحِ التَّكذيبِ بآياتِ اللهِ تعالى

إضافة الآيات إلى الضَّمير الرّاجع إلى الله تعالى في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ يُراد به تعظيمُ المضافِ وهو الآياتُ؛ فإنَّ التَّكذيب لم يكن بآيةٍ بل بآيات، ولا سيَّما أنَّ الضَّميرَ جاءَ بأسلوبِ العظَمَةِ؛ لزيادةِ المهابةِ وإدخالِ الرَّوعةِ في نفوس المُتَلَقِّين.

وفي تعظيمِ الآياتِ على النَّحو المُتقدِّم إظهارٌ لكمال قبح التَّكذيب بها[6].

---

(1) التَّقسِيمُ: هو استِيفاءُ أقسامِ الشيَّء بالذِّكرِ، وله صورٌ أُخرى. يُنظر: عبد المتعالِ الصَّعيديّ، بغية الإيضاح: 4/608.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/444.

(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/93.

(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/444.

(5) الآلوسّي، روح المعاني: 1/242.

(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/93.

دلالة اسمِ الإشارةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾:

بُعدُ مَنزِلَةِ الكفَّارِ والـمُـكَـذِّبِينَ في الشَّرِّ

في الإشارة إلى الكافرين والمكذِّبين بـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ تنبيهٌ على شَنَاعة ما اتَّصفوا به، وتلبَّسوا به، بحيثُ تَمَيَّزوا عمَّن عداهُم أكمَلَ تمييز.

ووَقعَ اسمُ الإشارةِ ههنا للبعيد؛ إشعارًا إلى بُعدِ مكانتِهم في السُّوء والشَّرِّ[1].

نُكتَةُ تَقديمِ الجارِّ والمَجرورِ ﴿فِيهَا﴾:

إفـــــادةُ الـتَّـخـصِـيـصِ وحسنِ تناسق الفواصل

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿فِيهَا﴾ -فلم يَرِد (هُمْ خَالِدُونَ فِيها)-؛ وذلك لِنُكتتَين:

الأولى: إفادة التَّخصيص؛ فخلُودُهم في النَّارِ لا غير، كلٌّ في مكانِه الّذي خصَّصه اللّٰه تعالى له، وذلك أبلغُ في ذمِّهم وبيان سوءِ عاقبتِهم.

والأخرى: بيانُ حسنِ الفواصلِ وانسجَامها؛ لأنَّ الآيةَ قَبلَها خُتِمت بقول اللّٰه تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، والآيةَ بعدَها خُتمت بقولِ اللّٰه سبحانه: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَٱرْهَبُونِ﴾، فلو جاء نظْمُ الآية (خالدون فيها)؛ لفات هذا التَّناسُبُ.

سَبَبُ فَصلِ ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ عَمَّا قَبلَها:

صُحبَةُ المُكَذِّبِينَ للنَّار أَبديَّةٌ

فُصِلَ قول اللّٰه تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ عن قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾؛ لأنَّ بينَهما كمالَ الاتِّصالِ؛ فإنَّ الجملة الثانيةَ -﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾- نُزِّلت منزلةَ البيانِ مِنَ الأولى[2]؛ إذ دُخولُ طائفةٍ ما النَّار بحيثُ يَصحَبُونَها، لا يَلزَمُ مِنهُ أن تكونَ صُحبَتُهُم لها أبديَّةً، فجاءت الثَّانيةُ مبيِّنةً مُدَّةَ المُصاحبة؛ ففي البيانِ فنٌّ الاحتراس.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/94.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/446.

مِنْ بدائعِ الحذفِ: الحذفُ المُقابَلِيّ (الاحتباك):

أهـلُ الجنَّـة تكفيهم الإشارةُ، وأهل النَّار لا تَنْفعُهم العبارةُ

في قول الله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ إيجازٌ بالحذفِ، وهو المسمَّى: الحذفَ المقابَلِيَّ أو الاحتباكَ[1]، وتقديرُ الكلام: فمَنْ تَبِعَ هدايَ فأولئك أصحابُ الجنَّةِ هم فيها خالدون، ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزَنون، والّذين كفروا وكذَّبوا بآياتِنا أولئكَ أصحابُ النَّار هم فيها خالدون، وعليهمُ الخَوفُ وهم يَحزَنون[2].

فحُذف مِنَ الأوَّل (فأولئكَ أصحابُ الجَنَّةِ هُم فِيهَا خَالِدُون)؛ لِدلالة الثَّاني عليه وهو قولُ الله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾، وحُذِفَ مِنَ الثَّاني (وَعَلَيهِمُ الخَوفُ وهُم يحزنون)؛ لدلالة الأوَّل عليه وهو قولُ اللهِ سبحانه: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وهو من أَلطَفِ أنواع الحَذف.

ونكتتُه هنا: التَّنبيه على خلودِ أهلِ الجنَّةِ بالإشارةِ في قولِه: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وبدلالة المقابلةِ، والتَّصريحُ بخلودِ أهلِ النَّار بالعبارةِ: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾، وهذا من جمالِ العَدل في الإنذارِ، وبراعةِ التَّحفيزِ في التَّرغيبِ.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الآياتُ والبَيِّنَاتُ:

الفرق بينهما من وجهين:

أحدهما: في أصل الدّلالة اللغويَّة لكلٍّ منهما؛ فإنَّ مادَّةَ البيِّنَةِ تدُلُّ على بُعد الشَّيء وانكشافه[3]، والآية في الأصل: العلامَةُ[4].

(1) سمَّاه الزَّركشّي: الحذفَ المقابلّي، وسمَّاه السّيوطيّ: الاحتِباك؛ وهو أن يُحذَفَ مِنَ الأوائلِ ما جاء مقابِلُهُ في الأواخِر، ويُحذَفَ مِنَ الأواخرِ ما جاء مُقابلُهُ في الأوائلِ.
يُنظر: الزَّركشي، البرهان: 3/129، والسُّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن: 2/61.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/106.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بين).
(4) الخليل، العين: (أيا).

والآخر: أنَّ الآيةَ فيها توجُّهٌ وسير إلى المقصود، وهي الوسيلةُ للوصول إليه، ففيها جهة السَّوق والهداية إلى المطلوب بخلاف البيِّنَةِ[1]؛ فإنَّها كلُّ دليلٍ لا يتركُ في الحقِّ لَبْسًا، ومِنهُ قيل للشُّهود الشَّاهدين على الحقِّ: بيّنة؛ لأنَّهم يبيّنون ويوضّحون مَن له الحقُّ، ومَن عليه الحقُّ[2].

ففي الآياتِ معنًى زائدٌ عن البيِّنَات؛ فإنَّ البيِّنَاتِ أدلَّةٌ لكشف الحقِّ وإيضاحِه، أمَّا الآياتُ ففيها هذا المعنى، وزيادَةُ السَّوقِ والهدايةِ إليه.

وبناءً عليه؛ فالآياتُ أخصُّ من البيِّنَاتِ؛ ولذا جاء في التَّنزيلِ وصفُ الآيات بالبيِّنَاتِ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ﴾ [البقرة: 99]، ولم يَرد العكسُ؛ فلم توصف البيِّناتُ بأنَّها آياتٌ، ومن المقرَّر عند علماء العربيَّةِ أنَّ الموصوف أخصُّ من الصِّفة، كما تقول: زيدٌ الطَّويلُ؛ فـ (الطّويل) أعمُّ من (زيد) وحدَه؛ لأنَّ أفرادَ الطَّويلِ كَثيرَةٌ، وزيدٌ أخصُّ مِن (الطّويل)[3].

(1) حامد دزآباد وسيدة محبوبة كشفي، الفروق اللغوية المستخرجُ من كتاب (التحقيق في كلمات القرآن)، مؤسسة بوستان كتاب، ط: 1، 1441، ص: 44-43.

(2) محمّد الأمين الشِّنقيطيّ، العذب النَّمير: 5/67.

(3) ابن يعيش، شرح المفصَّل: 3/350.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»